خواطر

هُـــاءُ

هاجر فيصل المجيدي

هَاجر المجيدي

أوركيديا بوك
لـنشر وتَنسيّق الكُتيّبات الإلكترونية

✧ **جميع الحُقوق مَحفوظة لدى أوركيديا بوك.**

✧ العِنوان : هَـاء.

✧ المؤلِف : هَاجر فيصل المجيدي.

| تيليجرام : **B_a_r_i_k_0**

✧ التصنيف : خواطر.

✧ عدد الصفحات : **107.**

✧ تاريخ الإصدار : **2/12/2024.**

✧ تصميم الغلاف وتَدقيق لُغوي : هَاجر المجيدي.

✧ إخراج داخلي : أوركيّديا بوك للنشر والتَنسيق.

يُمنع اقتِصاص أيّ جُزء من هذا الكُتيّب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجهُ بأيّ شكل إلّا بموافقة الناشِر.

المُقدِّمَة :

بينَ سطورِ هذا الكتابِ، يكمنُ حرفُ هاءُ، أولُ حرفٍ وأولُ كتابٍ لي.

ليسَ مجردَ بدايةٍ، بل هو الحافزُ الذي شكَّلَ كلَّ كلمةٍ وكلَّ فكرةٍ بينَ هذه الصفحاتِ.

حملَ هذا الحرفُ في طيَّاتهِ كلَّ لحظةٍ من رحلةِ الكتابةِ، بدايةٌ صغيرةٌ نَمَتْ لتصبحَ عالمًا يحتضنُ كلَّ خواطري.

هاءُ ليسَ مجردَ رمـزٍ، بل هو الأساسُ الذي بُنيتْ عليهِ هذه الكلماتُ، وجسرٌ يربطُ بيني وبينَ كتاباتي.

الإهداء :

إلى نفسي، إلى تلك التي حملت قلمها لتكتب ما يعجز عن قوله لسانها.

إلى روحي التي بحثت عن الحقيقة في كل حرفٍ،

وتناولت الكتابةَ كطريقٍ لاكتشاف ذاتها.

هذا الكتابُ هو مرآةٌ لقلبي، وحكايةٌ لكل حلمٍ وآلمٍ عشته،

وكل فكرةٍ تاهت في الزمانِ حتى وجدت مكانها بين السطور.

إهداء آخر :

إلى عائلتي، نبع الحب والدفء،

الذين كانوا دومًا السند الحقيقي في رحلتي.

إلى صديقاتي العزيزات، من كنَّ بجانبي في كل لحظة،

ضحكاتكنّ ودعمكنّ كانا النور الذي أضاء دربي.

إلى كل من أهداني كلمة طيبة،

لكم من القلب شكر وامتنان، فأنتم مصدر الإلهام.

إهداء خاص :

إلى صديقةِ الحرفِ، وصديقةِ الطموح،

التي كانت رفيقتي في كلِّ فكرةٍ كتبتُها،

أهديكِ كلماتي، التي حملتْ صداكِ في كلِّ سطرٍ.

هَمسة :

هاءُ هو أنغامٌ غيرُ مسموعةٍ، أَعْزِفُها بقلمي فتصلُ إليكَ عبرَ عينيكَ.

في صمتِ الكلماتِ، هناك لحنٌ خفيٌّ يتنقَّلُ بينَ السطورِ، يتردَّدُ في أعماقِكَ قبلَ أن يستقرَّ في فكركَ.

أرجو أن ترى بينَ سطوري ما يعكسُكَ، وأن تجدَ في كلِّ حرفٍ وصفًا لمشاعركَ، لتكتشفَ أنَّكَ لم تكنْ وحدكَ في هذا العالمِ، بل كنا جميعًا هنا، نتنقَّلُ بينَ الأملِ والألمِ، في رحلةٍ نتشاركُها دونَ أن نلتقي..

الفصل الأول

أنتَ في رحمةِ الله، لا في رحمةِ البشر؛ فاهدأ
واطمئن، فما كتبهُ اللهُ لكَ أجملُ وأعمقُ مما تظنُّ.

ورجـائي ألا تتركني،
إنني بدونك هـالكٌ، ودون عونك خـاسرٌ،
ودون هُداك ضـائعٌ.

أخشى أن تدنو ساعتي ويُكتب لي الرحيل في تلك اللحظة،
وروحي تائبةٌ بتوبةٍ قد لا تُقبل، أخاف أن تأسرني الحياةُ في أحضانِها،
فتغرقني في سرابِ ملذّاتها وزيفِ متاعِها، فتُنسيني الحكمةَ من وجودي،
وتُبعدني عن السبيلِ الذي تطمئنُّ إليه روحي.
أتوجسُ أن أستكينَ لإغواءاتِ الدنيا، فيأخذني الموتُ وفي قلبي ذرةٌ من
تعلّقٍ بها، ويُختتم لي بلقاءِ الله، والشهواتُ ما زالت تُحيطُ بي.

جمعَ اللهُ بيننـا وبين أمـانينـا وأحلامنـا، وقرنَ قلوبَنـا بمـا نقولُ فيه "يـا رب" ويُستجـابُ بـ "آمين".

ارزقنـا يـا الله يقينًـا راسخًـا بأن أمـانينـا لن تضيع.

قد تبكي اليوم من حرقة الألم والحسرة،
دون أن تُدرك أن الله يعدُّ لك فرحًا عظيمًا
سيُبكيك من شدَّةِ الفرح.

سأنهضُ وكأنني لم أعرف الحزنَ يومًـا،
سأجبرُ وكأن قلبي لم ينكسر قط،
وسأمضي بثبـاتٍ وكأنني لم أتعثر أبدًا.

الحمدُ للهِ اليومَ وغدًا وإلى أن نلقى الله،
الحمدُ للهِ في السراءِ والضراء،
الحمدُ للهِ في لحظاتِ ذبولنا وازدهارنا،
الحمدُ للهِ على كل حالٍ وفي كل حين.

بعد حينٍ ستدرك أن مـا كنت تلحُّ بالدعـاء لأجله ولم يتحقق،
لم يكن خيرًا لك أبدًا، وأنه لو استجـاب الله لكـان الغرقُ مصيرك.
ستعلمُ حينهـا أن تأخُّر الاستجـابة كـان نجـاةً ورحمة.

يـا مُديم النِّعم، أدمْ عليّ نعمةَ وجودِ عـائلتي،
وارزقني رؤيتهم ضـاحكين مطمئنين، تملأُ قلوبهم الطمأنينة،
واجعل الفرحَ رفيقهم أينمـا كـانوا.

وأخرجني يـا الله من ضيق الوجود إلى سعة رحمتك،
ومن ازدحـام أفكـاري إلى هدوء طمأنينتك،
واجعل في قلبي سكينةً تغمرني،
وفي روحي نورًا يهتدي به قلبي.

وبكل هدوءٍ وتنهيدةٍ من قلبٍ،
سلمتك يـا اللهُ كلَّ أموري، وأنتَ أدرى بمـا في القلب.

الفصل الثاني

ابتسم، يا لطيف!
ما أجملها وما أجملك.

ستتحول لذكرى، فكُن جميلًا،

كُن ذكرى عذبة تُداعب الذاكرة حين تبهت تفاصيل الحياة،

كُن من تلك اللحظات التي تُضيء القلب حين تظلم الأيام،

واجعل من حضورك أثرًا لا يُنسى مهما طال الغياب،

كُن بصمةً تترك خلفها عطرًا في زوايا الروح،

وملاذًا دافئًا نهرب إليه حين يثقلنا الحاضر،

فالحياة قصيرة، والذكريات تدوم، فاختر أن تكون ذكرى تُزهر كلما مرت على قلوبنا، وأن تكون عابرًا يُدعى له بالخير حيثما رُبيت.

ولأنَّه ليس للإنسـانِ إلا مـا سعى،
فأنـا أسعى يـا ربُّ بكلِّ مـا أوتيتُ من قوةٍ وأمل،
فبـارك سعيي، ويسِّر طريقي، وقرِّبني من هدفي الذي أرجوه،
واختم هذا التعب بفرحةٍ غـامرة تُنسيني التعب،
وتجعلني أخرُّ سـاجدةً شُكرًا وعرفـانًـا لك.

أقويـاءُ نحنُ؛

نحولُ حزنَنـا إلى نكتةٍ، ودموعَنـا إلى فرحةٍ،

ولا نسمحُ لأحدٍ بأن يرى نقـاطَ ضعفِنا.

نحنُ من ننهضُ بأنفسنـا، ونصنعُ من آلامِنـا جسرًا للأمل،

نتجـاوزُ العقبـاتِ بابتسـامةٍ، ونواجهُ التحديـاتِ بشجـاعةٍ،

فعندمـا تسقطُ الدموعُ، نرفعُ رؤوسَنـا عـاليًـا،

مُدركين أن كلَّ تجربةٍ تمرُّ بنـا تمنحُنـا قوةً جديدةً.

لا يجب عليك أن تعرف كل شيء؛
فمن الجيد أحيـانًـا أن تترك مسـاحةً للجهل،
فالمعرفة الكـاملة قد تُثقل القلب وتجعل روحك تشتـاق لراحة الغموض.
لا بأس بترك فسحةٍ لنفسك لتعيش بسـاطة الجهل ببعض الأمور،
وأن تُريح عقلك من عبء الإلمـام بكل شيء.
القليل من الغبـاء قد يُضفي لحيـاتك راحةً وسلامًـا غير متوقّعين.

كلُّ صبـاحٍ يحمل بدايةً جديدة، واليوم هو فرصتك.
انهض واسعَ لتحقيق مـا تخلّيت عنه بالأمس تحت ذريعة المستحيل؛
فالإنجـازُ يبدأُ بخطوةٍ، والإصرارُ يكسرُ كلَّ القيود.

سأحقق حلمي ولو بعد حين،
وسأقف يومًـا في المكـان الذي لطـالمـا رغبتُ به،
حيث تلتقي أمـانيّ بواقعٍ صنعته عـزيمتي.

أتظنه ينســاك وقد أوكلتَ كل شيءٍ إليه؟
كيف ينسى من لجأ إليه وترك أموره في كنف عنــايته ولطفه!
ليطمئنَّ قلبك.

مـا زال الوقتُ بـاكرًا، والفرصةُ سـانحةٌ،
اندفع بكل مـا أوتيتَ من عـزيمةٍ، وامضِ في طريقك بثبـاتٍ وإصرار.
لا تدع الخوفَ أو الشكَّ يقيدان مسيرتك،
فكلُّ خطوةٍ تقربك من مبتغـاك، وكلُّ جهدٍ تزرعه يمهد لك دربَ المجد.
تذكّر أن الصبرَ والإرادةَ همـا مفـاتيحك،
فلا تتراجع حتى تصل إلى مـا تصبو إليه.

ستنسى، ستمرُّ على الطرقـات وكأنهـا لم تحمل أي ذكرى،
سيأتي الليل هـادئًـا، خـاليًـا من أي وجع،
وستأتي أيـامٌ تضحك فيهـا على مـا كـان يومًـا قد أحزنك.
فالأيـامُ قـادرةٌ على أن تُنسيك مـا ظننتَ أنه لا يُنسى.

يُقـال أن الجمـال خُلِق ليحكي عن ابتسـامتكِ،
ابتسمي يـا جميلة،
واثبتي للعـالم أن سرَّ الجمـال يكمن في ضوء روحكِ
الذي يفوق كلَّ وصف.

الفصل الثالث

مرحبًا،
أريد تذكيركِ اليوم، وغدًا، وكل يوم: أحبكِ جدًا.

ثم إنني مدينةٌ بمشـاعرِ الحبِّ العميقِ لكلِّ رفيقةٍ
أنـارت روحي بعدمـا غشيتني عتمةُ الانطفـاء.

وأحبكِ جدًا، بقدر مـا غـاروا، وبقدر مـا قـالوا:

"بـاين تحبيهـا"

حُبكِ في قلبي أقوى من كل الشكوك،

وأكثر بروزًا من أي كلمةٍ تُقـال.

ابقِ معي، ودعيني أكتفي بكِ عن العـالم.

أعتذر إن بدا لكِ أنني لا أحبكِ، فالحيـاة تُطفئني كثيرًا،
وأجد فيكِ النور الذي أحتـاجه.
لتبقي نجمتي المضيئة في عتمتي، لا تنطفئي أبدًا، أرجوكِ.

اكتبي لي دائمًـا،
حتى لو كـانت الحروف مجرد أصداءٍ أو كلمـاتٍ عـابرة،
أو حتى لحظـاتِ صمتٍ تُشعرني بوجودكِ.
لا تتوقفي أبدًا؛
لأن غيـابكِ يجعلني أشعر بأن العـالم يخلو من لونه،
وأن قلبي يفتقد نبضه.

أنتِ لستِ وحدكِ أبدًا، فأنـا هنـا معكِ دائمًـا،
في كل خطوةٍ وفي كل لحظةٍ.
سأظل إلى جـانبكِ، غصبًـا عن تلك المسـافـات.

إنكِ تجعلين العـالم أكثر لطفًـا، والجرح أخف وطأة.
بوجودكِ يصبح كل شيءٍ أجمل وأخف.

أودُّ تذكيركِ دائمًا أنكِ ضلعي الثابت،

الركيزة التي أسند إليها قلبي،

وجزءٌ لا ينفصل عني.

حتى بين الأصدقـاء، هنـاك غيرة.

أستطيع أن أخفي كل شعور، إلا غيرتي عليكِ؛

فهي تتسرب من عينيّ دون أن أملك السيطرة عليهـا.

أ ن ا، د ا ئ م ًا، م ب ع ث ر ة.
رتّبيني.

الفصل الرابع

ماذا لو أحبتكَ مُترجِمةٌ،
وأصبحتَ كُلَّ قوامِيسها؟.

رغم أنني المُنتصرة القوية دائمًا، إلَّا أنني أمـام عَينيكَ أَنهزم،
وكأنني أَخضع لجـاذبيةٍ خفيةٍ تجتـاحني بقوةٍ لا أستطيع مقـاومتهـا،
تجتثّ مني كلّ ثبـات، وتجعلني أمـامك كشخصٍ تجرّد من قوّته.
وأجد في هزيمتي أمـامك انتصـارًا من نوعٍ آخر،
وأتعجّب كيف يتحوّل هذا الضعف إلى شيءٍ لا أملك إلّا أن أستسلم له.

مَن يرى جمـالَك حين يَعمى الجميعُ عنك ولا يرَون فيك سوى العيوب،
مَن يحتضِنُ حُزنَك قبل أن يشـاركَك فرحَك،
مَن يُسـاندك في لحظـاتِ ضعفِك وانكسـارِك،
ويُخفي أوجـاعَك عن أعينِ الآخرين، مَن يُحبُّك رغم انطفـاءِ روحِك
وخفوتِ بريقِك، ويظلُّ يراكَ كمـا كنتَ دائمًـا،
مَن يفهمُ صمتَك قبل أن تبوحَ بكلمـاتِك،
ويقرأ مـا تُخفيه نظراتُك دون أن تنطقَ،
مَن يقبلُ عَتمتَك ويغوصُ معك في أعمـاقِ الظلام؛
محـاولًا إشعـالَ النورِ في داخلكَ وإعـادةَ الأملِ إلى روحِك،
مَن يختـارُك حين تَخلى عنك الجميعُ، ويمدُّ يدَه حين تركك الآخرون،
هو وحده مَن يستحقُّ أن تبني له قصرًا في قلبِك وعمقِ روحِك،
وأن يكونَ جزءًا من حيـاتِك إلى الأبد.

وكـان ذكيًا للغـاية؛
يدرك تمـامًـا أنني امرأة لا تثيرهـا الكلمـات وحدهـا.
فراح يحوّل عبـارات الحب إلى أفعـال تُلامس أعمـاق روحي،
تشعرني بصدق مشـاعره، وتكشف لي عمق ذلك الحب.

وفي عمق عينيكَ،
وجدتُ امتدادًا عجزتُ عن إدراكه في هذا الكون الواسع،
كأن عينيكَ فضاءٌ يأسرني،
وأفقٌ بلا نهاية يحتويني.

كم أنك بديع في عزف الحروف،
فتنهض نبضات قلبي راقصةً على إيقاع كلماتك.
تثير في داخلي طوفانًا من المشاعر، تشعل في روحي لهبًا لا يخبو،
يبقى متقدًا طويلًا.
بين حرفٍ وآخر، يستكين قلبي ويسكن إلى همساتك،
كأنك تعيد صياغة عالمي، وتفتح في نفسي آفاقًا جديدة.
تغرس الحروف في عمق الروح، فتصبح الكلمات مأوى لي عند الهرب.

لم يكن حبًّا، بل كان احتلالًا، وكنتُ مستسلمة تمامًا،
بل رفعتُ رايتي البيضاء قبل أن تبدأ الحرب.
تركتُ له قلبي بلا قيدٍ ولا شرط، وتنازلت عن دفاعاتي طواعية؛
كأنني كنتُ أبحث عن هزيمتي بين يديه، حتى أصبحتُ أسيرةً لوجوده،
ولم أكن أملك القوة للانسحاب، كأنني وجدتُ في الاستسلام راحة.

أنت وطـني،

وبدونك أشعر كلاجئة أستجدي هوية؛

ضـائعة بين الأمكنة والوجوه، ولا أجد لنفسي انتمـاءً إلا إليك.

بيننا لغة صامتة لا يدركها أحدٌ سوانا،

هي حوار الأرواح وهمس القلوب.

بيني وبين قلبك عهدٌ لا ينفصم، ووعدٌ بالحب يتجدد مع كل نبضة.

مـاذا لو التقينـا، وتلاشت بيننـا المسـافـات،
وشـاء الله أن ينتهي ألم الاشتيـاق؟
نجلس على كراسٍ متقـاربة، نهمس بحديث الذكريـات،
نستعيد شتـات المـاضي، ونصوغ منه لحظـاتنـا الجميلة.
نتحدث عن شوقٍ سكن نبضـاتنـا،
وعن قلوبٍ اجتـازت حواجز الصبر الطويل،
ونضحك بصدق، وكأن الزمن لم يبعدنـا يومًـا.

ومـا أنت إلا وطن، أخشى أن يحتله العدو،
فيغدو قلبي أرضًـا بلا هوية،
أتوه في أزقة الذكريـات، أتلفف أملًا في عودتي إليك.

الفصل الخامس

السؤال الذي ظل بلا جواب:
كنت دائمًا أضيئك، كيف لك أن تطفئني؟.

آثرتُ الابتعـاد كي لا أتحول إلى صورة يغمرهـا الشفقة والأسى؛
فكرامتي أغلى من أن تُهدر، ونفسي أسمى من أن تختزل
في انتظـارٍ عقيمٍ لا يجلب سوى الخيبة والانكسـار.

لا تلتفت لمن تركت يديه بإرادتك،
فليس كل من أخلصت له يستحق اهتمامك،
وكثيرًا ما تقابل الطيبة بنكران لا يليق بها.

وإنك تعني لي الكثير، لكنني لا أراك تستحق أن أخوض المعـارك لأجلك.
لذا، أرفع راية الهزيمة طواعية، وأعلن انسحـابي،
تـاركـًا إيـاك في الخلف بلا ندم؛
فقد كـان حبك معركة لم أكن مستعدًا لخسـارتهـا،
حتى أدركت أخيرًا أن الانتصـار فيهـا كـان يعني فقدان ذاتي.

كنتُ أظنّك العوض، ولم أدرِ أنك الخيبة، الخيبة التي صفعتني بقوة،
وجعلتني أعيش حذرًا إلى الأبد.
كنتُ أرى فيك النجـاة، لكنك كنت السقوط.
ظننتُ أنني سأطوي آلام المـاضي بوجودك،
لكنك كنت الجرح الجديد.

كـانت على شفتيه ابتسـامة دائمة، تلك التي يظنهـا البعض صدقة،
ويظنهـا البعض الآخر سعـادة.
لكنهـا لم تكن سوى وسيلة لإخفـاء مرارة الخذلان
التي كـانت تتسلل إلى ملامحه.
كـانت ابتسـامة محجوبة خلف ستـار من الألم،
قـادرة على خداع الجميع.

كُلُّ من أُصيب بغير قلبه، ومن غير عـائلته،
أو الشخص الذي أستأمنه، فهو معـافى.

وكما هو الحالُ دومًا، أكّدوا لنا أنّه مُجرّدُ موقفٍ عابرٍ وسطَ مواقفَ احتوت خِلافاتِنا وتناقضاتِنا، وأنّ صداقَتَنا تمتدُّ بجذورٍ أعمقَ من كلِّ خِلافٍ عابر، وأنّ حدثًا كهذا لن يحضرَ حتى في ذاكرتِنا.

تساءلوا كيفَ لصداقةٍ كهذه أن تَصمُدَ طوالَ تلك السنين.

لكنهم لم يعلموا أنَّ تلكَ اللحظةَ الأخيرةَ، الهادئةَ في ظاهرِها، كانت في حقيقتِها شَرْخًا عميقًا، ونِهايةً لا رَجعةَ فيها.

أولئك الذين خلفوا الخراب في قلوبنا، وسرقوا الأحلام، وشوَّهوا معالمنا الجميلة، زرعوا في أرواحنا جراحًا لا تُشفى،
كأنهم أرادوا دفعنا إلى حافة اليأس والتبلد.
أرادوا أن نعيش تحت وطأة الألم، حيث يصبح الوجع رفيقًا دائمًا، يتسلل إلى كل زاوية في حياتنا، يُحاصرنا في ظلام دامس، ويُغلق أمامنا أبواب الأمل.

أنـا لستُ ضعيفةً،
لكنَّ خصمي كـان من أولئك الذين بَنيتُ لهم مكـانةً سـاميةً
بجـانبِ القلب، أولئك الذين منحتُهم ثقةً لا تتزعزع
واحتضنتُهم بكلِّ مـا فيَّ من صدقٍ ونقـاء.

في قلبي نجمٌ خمد ضيـاؤه، راهنتُ العـالم على نوره السـاطع وثبـاته،
لكنه خذلني وانطفأ دون سـابق إنذار،
تـاركًـا خلفه ظلمةً موحشةً وفراغًـا عميقًـا في أعمـاقي،
كأنمـا رحيله بعثر أركـان روحي.

الفصل السادس

نحنُ نتناسى، لكن لا ننسى.
وكأنّ الزمن يمرّ من دون أن يخفف عن قلوبنا ما عايشناه.

ليس لدي جـانبٌ مُظلم، بل لدي جـانبٌ مُحطّم فقط،
جـانبٌ يتجرّع الألَمَ في صمتٍ مُهيب،
يحتوي على ذكريـاتٍ مُنكسرةٍ وأحلامٍ مُشتتةٍ،
وواقعٍ مُحطّم، حيث تتداخل الذكريـات مع الأمل،
ويبقى القلبُ أسيرَ صدى الفُقد، يحـاول النهوضَ رغم كلّ عثرةٍ تُعيقه،
فلا الظلامُ يُخفي الاِنكسـار، ولا الألمُ يُبدد الشغفَ بالحيـاةِ.

وَصَلنـا، نِلنـاهـا، لكن بعد أن خَبَـا الشَّغف...
بعد أن اِنطفَأ بَريقُ الحلُمِ وسط زِحـام الأيّـام.
كم مِن خُطوةٍ خطونـاهـا دُون أن نشعُر بِحَرارتِهـا،
وكم مِن إنجـازٍ بلغنـاهُ دُونَ أنْ يهتزَّ القلبُ فرحًـا.
وَصلنـا، نِلنـاهـا،
لكِنَّنـا فقدنـا وَهجَ الطَّريق، وتِلكَ اللّهفة الأولى،
وصلنـا ووجدنـا الإنجـاز وقد خَبَـا بَريقُه؛
كـانَ مُشرِقًـا، وأَضحَى بـاردًا،
فقدنـا سِحرَهُ كمـا نفقدُ حكـايةً تتكرَّرُ حتّى تبهت.

أتُحكى المشـاعِر، أيُحكى شيء لا يُقـال، ولا تستطيع التعبير عنه؟
أترسم الأحـاسيس، أترسم ألوانٌ لا تُرى، وهمسـاتٌ لا تُسمَع؟
أيُدرك الصمت حين يفيض الكلام،
وحين يصبح الصدى أصدق من الحروف؟
يحدث أن يصبح الوجع رفيقًـا حين يعجز البوح عن حمله،
هنـا تكتفي الروح بالصمت فقد عجِز الكلام.

أحيـانًـا لا نرغب سوى في السُّكون، السُّكون فقط،
أن نكون بعيدين عن كل مـا يُصخب أرواحَنـا،
أن نتوارى خلف ستـار الصَّمت،
حيث لا يرانـا أحد، ولا يُطـالِبنـا أحد بشيء.
أن نختبئ في زوايـا هـادئة نُرمم فيهـا شتـات أنفسنـا بعيدًا عن ضجيج العـالم، حيث يمكننـا أن نتنفَّس بعمق، ونسمح لأفكـارنـا بالتجول بحرية، حيث تُحـاط أحلامنـا بنسمـات رقيقة.
في تلك اللحظـات، يُصبح السُّكون ملاذًا آمنًـا،
وتهمس لنـا الحيـاة بأن كل شيء سيكون على مـا يرام.

وتبقى لبعضِ الأماكنِ والكلماتِ، ولبعضِ الحكاياتِ والابتساماتِ، هَمَساتٌ خافِتةٌ تؤلِمُ أرواحَنا بصمت، تُذَكّرُنا بأنَّهُم كانوا يومًا هنا،
يَتركونَ في زوايا الذكرياتِ آثارًا لا تُمحى،
ورحلوا تاركين خلفهم فراغًا لا يَسُدُّه أحد.

لقد بلغتُ نقطة اللاعودة،

حيث أدركت أن الاستمرار في المعركة لا يجلب لي سوى الألم والحرمـان.

أنـا أستسلم، لست في فترة استراحة المحـارب،

بل تركت السـاحة ورميت السلام.

لقد استسلمت، ولا يهم إذا قُتلت أو خرجت سـالمًـا،

لقد عـانيت بمـا فيه الكفـاية،

وأرغب في أن أعيش حيـاة هـادئة بعيدة عن الصراعـات.

لطـالمـا بَرَّرْتُ فُقْدانَ توهجي وانطفـائي بأنه مـرحلة مؤقتة،
وأنـا أعلم تمـامًـا أنه في كل مـرة أعود فيهـا مُشِعَةً،
كـان بريق روحي يَخْفُتُ قليلًا، كأني أَسْتَنْزِفُ شيئًـا من نوري في كل عودة.
سيأتي يوم، ربمـا، أجد نفسي وقد انطفأت تمـامًـا،
بعد أن بذلت كل مـا أملك من ضيـاء،
وتلاشَتْ مني شظـايـا الضوء التي كنت أتمسَّك بهـا بشدة،
ليتحول توهجي إلى ذكرى فقط.

كَمْ أنـا بـارعةٌ في خداعِ الجميع، حتى نفسي، أَدّعي أنني بخيرٍ،
بينمـا تشتعلُ بداخلي عـاصفةٌ لا تهدأ،
وأرسمُ ابتسـامةً على وجهي وأنـا أختنقُ بصمتٍ.
أوهمُ نفسي ومن حولي بأنني بخير، والحقيقةُ أنني أتآكلُ شيئًـا فشيئًـا.
أعيشُ في دوامةٍ من التنـاقضـات،
بين مـا أتظـاهرُ به ومـا أُخفيه خلف جدرانِ الصمتِ،
أحمِلُ أعبـاءً من الأحزانِ الدفينةِ والأسرارِ التي لا يشعرُ بهـا أحدٌ،
كأنني أرتدي قنـاعًـا محكمًـا لا ينكسر،
وأمضي وسطَ الناسِ وكأنني كـاملةٌ،
بينمـا داخلي صرخـاتٌ مكبوتةٌ تتوقُ للتحررِ.

ابتسـامتنـا لم تكن إلا قنـاعًـا هشًّـا، أُخفي خلفه أوجـاعًـا لا تُحصى،
وتصبح تلك الابتسـامة عبئًـا ثقيلًا على الروح،
كأننـا نحمل صمتًـا مُرهِقًـا لا يُرى، وكلمـا طـال ارتداؤهـا،
ازدادت الجراح عمقًـا،
وبدأت ملامحنـا الحقيقية تتلاشى خلف تلك الواجهة الهشّة.
نبتسم، لا فرحًـا،
بل خشية أن يُدرك الآخرون هشـاشتنـا وانكسـارنـا الذي نخفيه.

ظننتُ أنني أمتلك كل شيء،
لكنني أدركتُ أنني ضيّعتُ نفسي في دوامة الأيـام.
أبحث عن ملاذٍ في عـالمٍ غـارقٍ في الظلام،
وأكتشف أن الغربة لا تكمن في البعد،
بل في أعمـاقي.

الفصل السابع

الكلمات قادرةٌ على تغييرنا
تستطيع أن ترفعنا بلحظةٍ إلى السماء، أو أن تُسقطنا في الأعماق.

منذ أن أخبرني أنّ من سيمتلك قلبي سيكون محظوظًـا،
وأنـا أتأمل كلّ من يطرق بـاب حياتي.
أدركت أنّ قلبي ليس هدية تُمنح عشوائيًـا،
بل جـائزة تستحق الكفـاح للوصول إليهـا.
من يأتي بعزيمةٍ وصبرٍ سيجد في قلبي موطنًـا دافئًـا للسّكينة والحب.
أمـا من يرحل، فلا أسف عليه؛
فقلبي لا يليق إلا بمن يُدرك قيمته، ويُقدّر نبضه كمـا يليق به.

منذ أن أخبرني أنّ في عينيّ بريقًا لا ينطفئ،
وأنا أشعر أنّ النور ينبع من أعماقي، يبدد الظلام لي ولمن حولي.
ذلك البريق ليس ومضًا عابرًا؛ بل عزيمةٌ متقدة، وإيمانٌ صلب،
وتحدٍ صامت لا ينكسر، يذكرني دائمًا أنني قادرةٌ على مواجهة كل شيء.

كلما وقفتُ أمام المرآة، تتردد تلك الكلمات في داخلي،
فتشعل في روحي شعلةً جديدة، تجعلني أضيء أكثر من ذي قبل.

منذ أن أخبرني كم أنا قوية وشـامخة،
وأنـا أرفض الانحنـاء مهمـا عصفت بي الحيـاة.
تسري في أعمـاقي قوة خفية، طـاقةٌ تعينني على الصمود،
وتدفعني للاستمرار رغم الانكسـارات.

أقـاوم مـا يختبئ داخلي من بكـاءٍ وألم،
وأرتدي ملامح الشموخ، شـامخة كالجبل،
لا تهزني العواصف، حتى وإن تآكلت صخور روحي بصمت.

منذ أن أخبرني أنني سأصبح يومًـا مـا أطمح إليه،
وأن انبهـاره بي يتزايد مع كل لحظة،
وأنـا لا أكف عن ارتقـاء كل سُلَّم يقودني نحو مـزيد من الروعة والتميز.
كلمـاته أضحت شرارة توقظ في داخلي شغف التطور،
تدفعني للغوص في أعمـاقي،
أبحث عن جوهرٍ يزداد سطوعًـا مع كل اكتشـافٍ جديد.

لقد زرع في نفسي يقينًـا بأني قـادرة على تشكيل ذاتي كتحفةٍ نـادرة،
تجمع بين عمق الفكر ورُقيّ الروح،
تُبهر دون أن تحـاول، وتَسحر دون أن تتكلف.

منذ أن أخبرني أنه يتحدث مع كـاتبة عظيمة،
وأنـا لا أكف عن السعي لبلوغ الأفضل في كل مـا أكتب،
وكأنني أكتب لأبرهن له أن كلمـاتي ليست مجرد حروف،
بل نبضـات تستحق الإعجـاب.
وكأنني أبدأ كل يومٍ رحلة جديدة في تطورٍ لا نهـاية له.

أتحدى نفسي في كل فكرة، في كل جملة، وفي كل حرف أضعه على الورق،
لأنني أدرك أن الكلمـات ليست مجرد انعكـاسٍ لأفكـاري،
بل هي مرآة تعكس أعمـاق كيـاني بأسره.

منذ أن أخبرني أنني مثـال يُحتذى به، وأنني غيّرت نظرته لبنـات الريف، وأنـا أشعر بمزيجٍ من الفخر والاعتزاز.

لم أكن أعي أنني سأكون رمزًا يُجسد قوة المرأة الريفية، بعذوبة روحهـا، وذكـائهـا العميق، وطموحهـا الذي لا يعرف حدودًا.

تلك القيم، التي كـانت نسيج هويتي، أشرقت أمـامه بوضوحٍ لم أتخيله.

كلمـاته كـانت دفئًـا يسري في أعمـاقي، تلهب داخلي رغبة في إثبـات أن الفتـاة تستطيع أن تعـانق أحلامهـا بلا قيود.

أن تصيغ لنفسهـا مزيجًـا خـاصًـا، يمزج بين أصـالة التراث وألق الحداثة، وبين نقـاء البسـاطة وعمق المعنى.

منذ أن أخبرني أنني نَجْمَة، وأنـا لا أكف عن التوهج،
كأن كلمـاته كـانت الشرارة التي أشعلت في داخلي شعلة أبدية.
تضيء روحي، وتدفعني نحو السمـاء، بلا حدود، بلا نهـاية.

منذ أن أخبرني أنني أستحق الأفضل، وأنـا أختـار طريقي بحذر،
وخطواتي بدقة، لا أترك مجـالاً للتسرع.
أصبحت كل خطوة أتعلم منهـا،
وكل قرار أتخذه ينبع من يقين داخلي أنني أستحقه،
بل وأستحق مـا هو أعظم.

منذ أن أخبرني أنني مُفعمة بالعزيمة، وأنه يرى فيّ قدرات عظيمة،
وأنـا أخطط لأحلامي بوعي، وأشق طريقي بعزم،
مهمـا كـان الدرب طويلاً وشـاقـاً.
لم أعد أهـاب العوائق التي تعترضني، بل أواجههـا بثبـات،
وأرى في كل خطوة تحديـاً يقربني من طموحـاتي.
يقيني يتجدد في أعمـاقي،
وكأن كل حلم يلوح لي في الأفق يدعوني للمضي قدمـاً نحو آفـاق أبعد،
لأجعل من رؤاي واقعـاً، مهمـا بدا المسـار طويلاً.

مُنذُ أن أخبرني كم يؤمنُ بقوتي، وأنـا لا أكفُّ عن المواجهة.
لا أكفُّ عن تحدي الصعـاب، ولا أكفُّ عن كوني لا أُهزم.

الفصل الثامن

أتفهم شعوري؟!

يقول أحدهم :

كـانت لحظـات مثقلة بالجهد والمرارة.

لا أنكر أن الجميع وقف في طريقي، يشككون في قدرتي ويزعمون أن سعيي للدراسة مجرد مضيعةٍ للوقت، وأنني لن أصل أبدًا إلى النجـاح.

لكن اليوم، أقف شـامخًـا في قـاعة التخرج،

أحمل بيدي شهـادة المركز الأول،

محـاطًـا بنظرات الإعجـاب التي لم تكن يومًـا تؤمن بي.

هـا أنـا ذا أُثبت أن الإرادة تصنع المستحيل،

وأن الإيمـان بالنفس هو مفتـاح كل انتصـار.

يقول أحدهم:

كنت أحـاول أن أبدو صلبًـا، أن أُقنع نفسي بأنني طبيب،
وأن عليّ ألا أنحني أمـام المواقف المؤلمة.
لكن تلك اللحظة زلزلتني؛ كـان الطفل ينظر إليّ بعينيه البريئتين،
يقول بهدوءٍ يفوق عمره أنه يعلم أن النهـاية قريبة، لكنه ليس غـاضبًـا.
ابتسم وقـال: "لقد حققت أمنيتي، سألتقي بوالدتي في السمـاء."
لم أستطع أن أخبره أنني لم أكن أرغب في تحقيق تلك الأمنية.
لم أستطع أن أشرح له كم جـاهدت، وكم بذلت من جهد؛
كي يبقى على قيد الحياة.
كنت أريد له أن يعيش، أن يرى العـالم بعيون الأمل،
لكن القدر كـان أقوى من كل محـاولاتي.
في تلك اللحظة، أدركت أن الطب ليس مجرد مهنة،
بل رحلة دائمة مع الألم، الأمل، والفقد،
وأن أصعب مـا يواجهه الإنسـان هو التظـاهر بالقوة في وجه العجز.

يقول أحدهم:

آخر حديثٍ بيننا كان عقب مشادةٍ قاسية،
قلت لها بحدة: "اغربي عن وجهي، لا أريد رؤيتك!"
فأطاعتني... إلى الأبد.

بعد أيامٍ، أخبرني الطبيب أنها رحلت إثر حادثٍ بسيط.
لم أستطع تصديق الأمر؛
شعرتُ وكأنها تعمدت الذهاب لتلقنني درسًا، أو ربما لمعاقبتي.
كانت عنيدةً إلى حدٍّ لا يوصف،
وليتها عاندت الموت وعادت إلي...

يقول أحدهم:

لطـالمـا استبد بي الغضب من معـاملة والدتي لي،
فقد كنت في العشرينـات من عمري،
لكنهـا تصر على أن تعـاملني كطفلٍ صغير.
كنت أرى تصرفـاتهـا آنذاك قيدًا يكبلني، عبئًـا أثقل كـاهلي.

لكن حين رحلت، كبرت فجأة، بلغت الخمسينـات،
أدركت الآن مـا لم أفهمه حينهـا: معنى أن تكون بلا أهمية لأحد،
أن تغيب تلك العيون التي تلتقط تفـاصيلك الصغيرة،
والنظرات التي تفيض بالاهتمـام.
كم كنت أحمقًـا وأنـا أبتعد عن الدفء
الذي لم أدرك قيمته إلا بعد فوات الأوان.

تقول إحداهن:

نـادوني بأبشع الألقـاب، وسخروا مني كلمـا رأوني أحمل أدواتي لتنظيف المنـازل والشوارع، أجمع قوت يومي من عرق جبيني، فقط لأوفر لابني فرصة التعليم، حتى لا يكرر معـانـاتي أو يقف في مكـاني إذا حرمه الجهل.

مرت الأيـام، وكبرت التضحيـات، حتى حـان اليوم العظيم، يوم تخرجه.
ذهبتُ لحضور الحفل، لكنني اخترت الوقوف بعيدًا، أخشى أن يُعـايره أحد بعمل أمه، أن أكون سببًـا في انتقـاص لحظة فرحته.
ولكن فجأة، سمعت صوته في القـاعة، قويًـا وواثقًـا،
يقول أمـام الجميع في كلمته :
"تلك أمي، هي السبب في وجودي هنا، هي من علّمتني أن الكفاح لا يخجل صاحبه، وأن المجد يولد من التضحيات."

لم أتمـالك دموعي، شعرت أن كل لحظة تعب وسخرية كـانت ثمنًـا زهيدًا مقـابل تلك اللحظة، لحظة رأيت فيهـا حصـاد حبي وكفـاحي يثمر نجـاحًـا وفخرًا لا يضـاهيهمـا شيء.

تقول إحداهن:

خرجت يومًـا أبحث عن لقمة تسد جوع أطفـالي،
أبنـاء شهيد تركنـا وسط حرب لا تهدأ.
كنت أسير في طريق محفوف بالمخـاطر، وفي لحظة،
دوّى انفجـار هزّ الأرض من تحتي.
لم أستيقظ بعدهـا،
بل وجدت نفسي في ظلام الغيبوبة لسنوات لا أدري عددهـا.

وحين عـادت إليّ الحيـاة، كـان أول همّي البحث عن أبنـائي.
عدت إلى الحي الذي كنـا نسكن فيه، لكنني لم أجد شيئًـا مما أعرفه.
المنـازل التي كـانت تروي قصصنـا لم تعد سوى أطلال،
والوجوه التي كنت أراهـا كل يوم استبدلت بغربـاء لا يعرفونني.

وقفت في المكـان الذي كـان يومًـا منزلي، أنتظر.
أبحث في كل وجه، في كل زاوية، عن أثر لأطفـالي.
لكنهم لم يعودوا.
لم يبقَ سوى أنـا وذكريـاتي.

هنـا ينـادونني بالمجنونة.

ولا ألومهم؛

فهم لا يعرفونني ولا يعرفون قصتي.

لكن في أعمـاقي، أنـا أمّ لم تفقد الأمل.

أقف كل يومٍ على أطلال المـاضي،

أرفع بصري إلى السمـاء، وأهمس:

"سأنتظركم، مـا دمت حية."

الخاتمة :

كتاب هاء هو البداية فقط.

في كل حرف، هناك قصة، وفي كل كلمة، حلم لم ينتهِ بعد.

سأواصل الكتابة، حرفًا بعد حرف،

لأكتشف المزيد من نفسي وأشارككم ما في أعماقي.

هذا الكتاب هو جزء من رحلة طويلة، وفي الكتب القادمة سأكمل السطور،

وأحيى كل حرف في اسمي، ليحكي قصتي بطرق جديدة ومشاعر أعمق.

الفَهرس :

الفصل الأول 11
الفصل الثاني 23
الفصل الثالث 35
الفصل الرابع 47
الفصل الخامس 59
الفصل السادس 71
الفصل السابع 83
الفصل الثامن 95

هاءٌ...

نبضٌ هادئ يحمل في طياته قوة الكلمات التي لا تُقال، وانتصار الأرواح التي تواجه عواصف الحياة بثبات.

هنا تبدأ الحكاية، وهنا تكتمل المعاني.